

كلمة العدد

الذكاء الاصطناعي.. وأخصائي المكتبات الخبير

في ظل هذا الزخم الناتج عن إطلاق تطبيقات الذكاء الاصطناعي الحرة open AI للاستخدام العام؛ وما ترتب عليه من موجة شديدة ما بين مؤيد ومعارض؛ وما ترتب عليه من تحولات سريعة في إمكانات التطبيقات والنظم التي قد يدعى بعضها أنها أصبحت ضمن فئة الذكاء الاصطناعي بين عشية وضحاها. وبغض النظر عن انهيار البعض بهذه الموجة وكأن الذكاء الاصطناعي لم يولد إلا بولادة الشات جي بي تي ChatGPT، وهو الأمر غير الصحيح كليا، فإن هذا الاتجاه قد بدأ وسوف يستمر ويتطور مثله مثل بقية التقنيات الناشئة emerging technologies التي عاصرها الإنسان.

إن الهدف الرئيس لتطبيقات الذكاء الاصطناعي هو محاكاة الذكاء البشري والخبرات المتراكمة لتحسين الحياة البشرية وخدمة الإنسان ومساعدته من خلال تطوير برمجيات وأنظمة قادرة على القيام بالمهام وذكاء عالي. ويأتي هنا التساؤل الأهم وهو هل لدى أخصائي المكتبات والمعلومات القدر الكافي من الخبرات والمعارف التي يمكن أن يتم تغذيتها لتطبيقات الذكاء الاصطناعي ومحاكاتها والتعلم منها في تطوير ذكاء الآلة لتنتج لنا نظما خبيرة أكثر ذكاءً قادرة على مساعدة كل من أخصائي المكتبة والمستفيد على حدٍ سواء؟! وهل تم توثيق تلك الخبرات والمعرفة المتخصصة وتمثيلها بالشكل الذي ييسر معالجتها والاستفادة منها؟ أم أن الأمر سيترك برمته للمتخصصين في تقنيات الذكاء الاصطناعي في تطوير برمجيات ونظم بديلة بمنأى عن المهنيين المتخصصين في المكتبات؟ أنا لا أتحدث هنا فقط عن التطبيقات العاملة

داخل مؤسسات المعلومات؛ وإنما بالأخص التطبيقات والنظم المساندة للمستخدمين في الوصول للمعلومات والإفادة منها خارج الإطار المؤسسي وفي الفضاء السيبراني.

إن المتتبع لمسار تطور التقنيات في تخصص المكتبات والمعلومات، وبخاصة تطبيقات الذكاء الاصطناعي، يستطيع أن يتبين بكل سهولة أن ما وصلت إليه التقنيات في الآونة الأخيرة هي التي ساعدت بشكل رئيس على بزوغ نجم الذكاء الاصطناعي وبشدة، تلك التقنيات التي مكنت من بناء تطبيقات لم يقدر لها النجاح فيما سبق؛ حيث ترجع محاولات تطوير تطبيقات الذكاء الاصطناعي إلى مرحلتى الستينيات والسبعينيات التي شهدتا بدايات تطور معالجة اللغة الطبيعية والنظم الخبيرة وتصنيف البيانات واستخلاصها وتطبيقاتها المختلفة في استرجاع المعلومات والخدمة المرجعية واتخاذ القرارات والعمليات الفنية في المكتبات.

لقد شهدنا في العشر سنوات الأخيرة اهتماما ملحوظا باستخدام الروبوتات في اختزان الكتب واستردادها، واستخدام برمجيات المحادثة الذكية chatbot في الرد على استفسارات مستفيدي المكتبة، الذي يرجع الفضل في انتشارها إلى تطبيق واتسون Watson الذي أطلقته شركة IBM عام 2011، والذي تبعه إطلاق العديد من نماذج الوكلاء الأذكى وبرمجيات المحادثات الذكية. ذلك الاهتمام الذي دفع الاتحاد الدولي لجمعيات ومؤسسات المكتبات (الافلا) إلى إصدار بيان المكتبات والذكاء الاصطناعي (2020) لتؤكد من خلاله أنه يمكن للمكتبات مع الاستعدادات اللازمة، ومراعاة المخاوف الأخلاقية، استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي بشكل مسؤول لتعزيز مهمتها الاجتماعية. من خلال "دمج تقنيات الذكاء الاصطناعي وتعلم الآلة في العمل اليومي"، وأنه مع تطور تلك التقنيات قد تتمكن العديد من تطبيقات الذكاء الاصطناعي من تقديم خدمات ووظائف جديدة للمكتبات، وإضافة أبعاد ومنهجيات جديدة لعمليات إدارة المعرفة في المكتبات - لا سيما تنظيم المعرفة والاختزان والتكامل. مع مراعاة أنه في حين أن هناك حالات يمكن فيها استخدام الذكاء الاصطناعي لأتمتة بعض خدمات المكتبة الحالية (مثل روبوتات المحادثة أو أدوات البحث والاستكشاف)، يجب توخي الحذر لمنع التأثيرات السلبية على جودة الخدمة والتوظيف (IFLA, 2020).

إن لكل تقنية فوائد ومخاطر، ومن أكثر ما تولد عن تقنيات الذكاء الاصطناعي من مخاطر ما يشير إليه البعض من تفوق الآلة على البشر نتيجة اعتمادهم عليها وتدني مستوى الذكاء البشري الذي من المفترض أن تحاكيه الآلة، إضافة إلى تراجع الطلب، بل واختفاء بعض الوظائف كلياً لتحل محلها الآلة. والسؤال هنا هل ستطال تلك المخاطر مهنة المكتبات والمعلومات؟ وهل لدينا أخصائي المكتبات الخبير الذي يمكن أن يتفوق على ذكاء الآلة؟ وما هي التدابير التي اتخذتها مؤسسات المعلومات والمهنيون في التعامل مع تلك المخاطر في سياق سعيهم لتبني تقنيات الذكاء الاصطناعي والتكامل معها؟

تساؤلات كثيرة تتبادر إلى الذهن في ظل السباق المحموم الذي يشهده التخصص ونشده جميعاً نحو اختبار تطبيق ChatGBT في شتى الجوانب المهنية، وهو أمر محمود بالمناسبة وطبيعي، فمنذ أيام قليلة حدثني بعض الزملاء بنتائج تجربة إنشاء تسجيلات ببيوجرافية بصيغة مارك من خلال التطبيق، واحتد النقاش بينهم حول صلاحية التسجيلة المستخرجة بالذكاء الاصطناعي وما تضمنته من أخطاء، أما بالنسبة لي فقد كان الأهم من سيتولى تدقيق صلاحية التسجيلة validation وتغذيتها للتطبيق مرة أخرى؟ وهل سوف يكون هناك داعٍ لإنشاء التسجيلة من الأساس إذا تمكنت مثل هذه التطبيقات من كشف عناصر البيانات الوصفية واستخلاصها من النص الكامل نفسه ألياً؟ وما هو الدور البديل للمتخصصين في الفهرسة إذا حدث ذلك؟

كل تلك التساؤلات وغيرها كثير يجول في ذهني وذهن الكثيرين من الزملاء والزميلات، ولا يجب أن ننتظر مكتوفي الأيدي حتى نرى ما تسفر عنه الأيام القادمة؛ بل علينا أن نبدأ في الاستعداد وتنمية الخبرات والذكاءات البشرية للتفكير لما وراء الآلة، فهل سننجح في ذلك؟!

رئيس التحرير

أ.د. عماد عيسى